التناص في شعر السيد محمد سعيد الحبوبي

(١٨٤٩ – ١٩١٥)

م.م.عبد الغني حميد حسين *

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/١٠/٢٥ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١٢/٢٤

المقدمة :

يعد الشاعر محمد سعيد الحبوبي صورة صادقة للعصر الذي نشأ فيه، فشعره يمثل القرن التاسع عشر خير تمثيل ، فقد كان هذا الشعر ترجمةً للحقائق التي برزت في الشعر آنذاك، وقد أتخذ الحبوبي طريقاً اتباعياً تقليدياً، استجابة لروح العصر ، فجعل الشعر العربي القديم أساساً ومنطلقاً له ، فسار على خطى بعض الشعراء السابقين ، وقلّدهم في شعره ، لكنه " لم يكن بأعمى في تقليده القدامى ، ولا بعاجز حين ضمّن أشعارهم ، ولا بقاصرٍ حين جاراهم في أفكارهم، وإنما فعل ذلك كله متأثراً بسعة ثقافته الشعرية ، وتأثره بما اطلع عليه أثناء تلمذته من روائع الشعر العربي الأصيل " [١] .

والحبوبي علم من أعلام ذلك القرن ، فهو شاعر مجيد ، " امتلك زمام الشعر حتى تصدر معاصريه _ وجلّهم من فحول الشعراء _ بشهادة مؤرخي عصره ، بما أبدع من شعر رائق" [٢] ، تلذّ له الأسماع وتطرب، لما فيه من شاعرية عذبة ، ومقدرة فنية عالية .

إن أساليب التعبير الفني لدى الشعراء ، تتنوع وتتفاوت حسب الأغراض والفنون التي يعبرون فيها عما يجول في خاطرهم من غزل أو مدح أو هجاء أو رثاء؛" لذلك يتعرض

---

* مديرية تربية نينوى .

(١) ديوان السيّد محمد سعيد الحبوبيّ، جمع وتحقيق: عبد الغفار الحبوبي، مديرية المطابع العسكرية، د . ط، ١٩٨٣ م: ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٢ .

الأسلوب الفني لشيء من الاختلاف الواضح تبعاً لهذه المعاني والأغراض"[١]، وكلما زاد الشاعر معرفة بوسائل التعبير، كلما وصل بشعره إلى قمة الإبداع .

تعد عملية الإبداع الفني " مظهراً من مظاهر الأصالة في الأثر الأدبي، ذات علاقات وثيقة بالأبعاد التأريخية للنص ، لذلك فإن الناقد الذي يجهل مثل هذه الأبعاد أو يحاول التقليل من شأنها في معرض دراسته للنص يبتعد كثيراً في أحكامه النقدية ، وتقويمه لمثل تلك التجربة " [٢] .

يقوم الناقد بتفسير الأثر الذي يحدثه النص في المتلقي " ويكون الأثر الأدبي بهذا المفهوم المثير للمتلقي بحسب الاستجابة أو عدمها " [٣] ، وإننا حين نعجب بشاعر نضع المعايير الفنية التي تفسر نصوصه الفنية ، ونحكم لها أو عليها ، لأن أثره هو صورة فنية ، وصدى لحياته وعلاقاته ، فنياً واجتماعياً[٤] .

ومما لاشك فيه أن نصوص الحبوبي إذ تحيل إلى نصوص أخرى ، فهي بصورة أو بأخرى تعيد إلى المتلقي تراثاً عربياً أصيلاً ، " فالأصالة وحدها جديرة بالدراسة والاهتمام حين يحدد أبعاد وجودها الأسلوب المتئد، وحين يكشف عن طبيعتها وقيمتها الفنية "[٥]، فالأديب لا ينتج نصاً أدبياً من دون خلفية تكون ماثلةً باستمرار وراء عملية إبداعه ، وناقد النص لا ينقده من دون خلفية ثقافية وذهنية تتوافق أو تختلف مع خلفية الأديب وذهنيته [٦] .

---

(١) الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة – مصر ، ط ٦ ،١٩٦٦م: ٨٦ .

(٢) التحليل النقدي والجمالي للأدب ، عناد غزوان ، دار آفاق عربية ، بغداد – العراق ، ١٩٨٥م: ٦٦ .

(٣) مقدمة في دراسة البيان العربي ، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان – الأردن، ١٩٨٦ م: ١٩ .

(٤) يُنظر: المصدر نفسه : ٢٠ .

(٥) التحليل النقدي والجمالي للأدب: ٤٤ .

(٦) يُنظر: ماوراء النقد الأدبي، تيسير شيخ الأرض ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٥ لسنة ١٩٨٢ / ٩٨ .

سيبقى التراث كنزاً معرفياً مفتوحاً أمام المبدعين ، وأمام من يحاول الاستفادة منه لإعطاء نصوصه قيمة فنية تستند على أرضية صلبة ، فكل نص يُبنى، فإنه يقيم علاقة وثيقة مع ماض ينتمي إليه ، وحاضر يتواصل معه ويحيط به سواء أشار لها النص أم لم يُشر، فكل نص يُعد ثمرةً ناضجة في غصن شجرة توغل جذورها في أعماق الأرض .

مفهوم التناص:

الكتابة فن إبداعي لا تحدث من فراغٍ، أو يمارسها الأديب بشكل فردي معزول عن المحيط الثقافي أو الاجتماعي، " فالنص الأدبي ممارسةٌ لغويةٌ في إطارٍ اجتماعي محدّد وليس عالماً مغلقاً على نفسه " [١] ولكي يُنشيء المبدع نصاً ما فلا بدّ أن يكون مسكوناً بنصوصٍ مخزونة في ذاكرته من خلال مطالعاته السابقة لنصوصٍ سبقت العملية الإبداعية، والنصوص التي يتناص معها لا تخلو أن تكون من التراث الثقافي، أو من معاصريه (المثاقفة)، أو أن يكون الأديب سمع نصاً وتأثر به، وهذا يجعلنا نعتقد أن التناص أمر طبيعي لدى الشاعر فهو نتيجة حتمية لأدامته النظر في اشعار الآخرين حتى تلتصق معانيها بفهمه، وترسخ أصولها في قلبه، فإذا جاش فكره بالشعر كان لتلك الأشعار أثر بين في شعره [٢] .

وإذا أردنا أن نحدد بداية دخول التناص إلى مجال الدراسات النقدية نقول إن: " التناص مفهوم نقدي جديد أدخلته الناقدة (جوليا كرستيفيا) إلى حقل الدراسات الأدبية في أواسط الستينيات من القرن العشرين، أخذته عن (باختين) الذي اكتشف مفهوم الحوارية (البوليفونية)، أو تعدد الأصوات عام ١٩٢٩م، وعدته وظيفةً تناصيةً تتقاطع

(١) تحليل الخطاب الأدبي على ضوء اللسانيات الحداثية: (دراسة في نقد النقد)، محمد عزّام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣ م: ١١٦ .

(٢) يُنظر: عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعه: نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م: ١٦ .

فيها نصوص عديدة " [١] ، وتذهب كرستيفيا إلى أن " كلّ نصٍ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرّب وتحول لنصوصٍ أُخرى" [٢] .

يعد التناص امتداداً معرفياً لنصوص سبقت العملية الإبداعية إذ إن النص يدخل " في مجال الشعرية الحديثة في نقطة تقاطع (تلاقي) التحليل البنيوي للنصوص والأعمال الأدبية بصفة عامة باعتبارها نظاماً مغلقاً لا يحيل إلا على نفسه، مع نظام الإحالة (او المرجع)، باعتبارها مؤشراً على ما هو خارج _ أدبي و/ أو خارج _ نصي ويتحكم في إنتاجية النصوص وتوالدها المستمر" [٣] .

ووفقاً لما ذكر فإن التناص " يلغي قانون الملكية الخاصة للنصوص، فإذا الكلمات ملك للجميع، وإذا العبارات التناصية قابلة للتحول، وهي متحولة في النص الجديد، وقابلة للانتقال إلى نص آخر" [٤]. وكذلك فإنه يقوم بإلغاء الحدود الفاصلة بين النصوص، فلا يوجد وفق هذا المنظور نص بكر، فكل نص جديد هو مجموعة من النصوص المكررة، تسربت إليه من خلال عملية الامتصاص والتحويل، سواء أكان المبدع واعياً وقاصداً ذلك أم أنه غير واع ولا قاصد لهذا، وعلى الناقد تقع مسؤولية كشف وإيضاح التعالقات النصية الحاصلة، " فالقصيدة تقول شيئاً وتعني في الوقت ذاته شيئاً آخر، وما الحضور سوى علامة على الغياب، ويتطلب من القارئ الجاد أن يحفر في طبقات النص ليكتشف المسكوت عنه، وهذا لا يكون إلا في البنى المغيبة، والوصول إلى بعض هذه البنى المطمورة يحتاج إلى استحضار النصوص الغائبة " [٥]، وهذه مهمة أو باب " لا ينهض بها إلا الناقد البصير، والعالم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كلّ من أدركه

(١) شعرية الخطاب السردي (دراسة)، محمد عزام: ١١٦ .

(٢) الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، عبد الله محمد الغذامي ، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية الهامة للكتاب، القاهرة – مصر، ط ٤ ، ١٩٩٨م : ٣٢٢ .

(٣) مفهوم التناص بين الأصل والامتداد، حالة الرواية (مدخل نظري) ، بشير القمري، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان: (٦٠ _٦١) :٩١ .

(٤) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر(دراسة)، خليل الموسى : ١١ .

(٥) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر: ٥٦ .

استوفاه واستكمله "[١]، ويبقى التناص " رافداً ثقافياً يعتمد عليه الشاعر في بناء عمله الفني، متكئاً على ثقافة تراثية، سواء كان هذا الاتكاء شعورياً أم غير شعوري " [٢] .

ويخضع التناص لثلاثة قوانين حددها بعض النقاد [٣]، في محاولة لإضفاء الطابع الموضوعي على العملية النقدية، وتحدد علاقة النص الغائب بالنص الماثل، ومن هذه القوانين:

١. الاجترار: هو قيام المبدع بتكرار نص سابق زمنياً على نصه، دون تغيير أو تبديل أو تحويل، وهو بعمله هذا يسهم في إعادة النص الغائب (السابق) إلى المجال التداولي، ويظهر أن المبدع من خلال هذا الفعل يعيد النصوص أعجاباً بها، أو انه ينظر إليها نظرة تقديس، ولذلك نجده لا يغير فيها، وإذا ما حدث تغيير فإنه لا يمس جوهر النص، ويلحظ ذلك غالباً في النصوص الدينية [٤] .

٢. الامتصاص: هو مرحلة أعلى من المرحلة الأولى يقرُّ فيها الأديب بأهمية النص الغائب، فيعامله تعاملاً حركياً تحويلياً لا ينفي الأصل بل يسهم في استمراره، وهذا يعني أن الامتصاص لا يجمد النص الغائب، بل يعيد صوغة وفق متطلبات تأريخية وأيديولوجية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها [٥] .

٣. الحوار: هو اعلى مرحلة في قراءة النص الغائب، " إذ يعتمد النص المؤسس على أرضية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب مهما كان شكله وحجمه، فلا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص ، وإنما يغير في القديم اسسه اللاهوتية ، ويعري في الحديث قناعاته التبريرية والمثالية " [٦] .

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي: ١٦١ .

(٢) الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، محمد الصالح السليمان: ١٨٩ .

(٣) يُنظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس: ٢٥٣ . وينظر شعرية الخطاب السردي: ١١٨ .

(٤) يُنظر: المصدر نفسه : ٢٥٣ .

(٥) يُنظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: ٢٥٣ .

(٦) المصدر نفسه: ٢٥٣ .

التناص الشعري (الخارجي) :

هو تداخل (تناص) نصوص الشاعر مع نصوص غيره من الشعراء سواء كان هذا التداخل (التناص) في المعنى أو في الشكل .

قال الحبوبيّ [١]:

فليت هوى الأحبة كان عدلاً فحمّل كلّ قلبٍ ما استطاعا

أعاد الحبوبي من خلال هذا البيت إلى المجال التداولي بيتاً للمتنبي، فهو قد بنى جسور التواصل الفكري بين الماضي والحاضر، ولم يغير في بيت المتنبي سوى القافية، وهذا يعد تناص اجترار في اللفظ وفي المعنى، قال المتنبي [٢]:

فليت هوى الأحبة كان عدلاً فحمّل كلّ قلبٍ ما أطاقا

قال الحبوبيّ [٣]:

يرقص الغصن له وهو رطيب

وثراك اختال في برد قشيب

استحضر الحبوبي من خلال النص بيتاً لأبي تمام ،إذ قام بتغيير بعض ألفاظ النص السابق، (فالأرض) غيرها بـ(ثراك)، و(أثواب) وهي جمع، بـ(برد) وهو مفرد، وغير (القشب) إلى (قشيب)، وهذا يعد تناص امتصاص مع بيت أبي تمام [٤]:

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أثوابها القشبِ

قال الحبوبيّ [٥]:

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٩١.

(٢) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي: ٨٠١.

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٤٦.

(٤) شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدم له: راجي الأسمر :١/ ٣٥.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٥٢.

فلـــيخفّض، أنـــه لـــيس هنـــاك وليعـــرج للحضـــيض الأحـــزنِ

قد وظف الحبوبي في بيته هذا بيتاً لجرير، لكنه غير في اسسه كثيراً لأن الحبوبي قد غير في معنى بيت جرير إذ رأى الحبوبي أن أي شخص سوى الممدوح له مكانة ضعيفة ومنحطة فليس له قدرة على المطاولة وأن مكانه في الحضيض الأحزن وهذا تناص حوار مع قول جرير[١]:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك في الحضيض الأسفلِ

قال الحبوبيّ [٢]:

فهو في شوك هوان لا يُشاك وكذا من لم يَهُن لم يُهَنِ

في هذا البيت يحاول الحبوبي محاكاة المتنبي، فقد ذهب إلى أن ممدوحه قوي الشكيمة لايذل ولا يخضع، ولا يقبل الهوان، وهو لا يستخف باحدٍ، فضلاً عن ذلك نجد بعض الالفاظ المشتركة بين البيتين مثل: (هوان)، (يهن)، وهذا تناص امتصاص مع بيت المتنبي الآتي[٣]:

من يَهُن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

وقال أيضاً [٤]:

هذي معاهدُ ليلى فاحبسا وقفا فما يضرُكما أن تسعفا دنفا

يستثمر الحبوبي مطلع معلقة امرئ القيس، فهو يلتمس من صاحبيه أن يقفا في منازل الحبيبة وقد غير الحبوبي بعض ألفاظ بيت امرئ القيس، (فالمعاهد) استبدلها

(١) ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد امين طه: ٣/ ٩٤٠.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٥٣.

(٣) شرح ديوان المتنبي: ١٢٤٧.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٦٧.

بالمنازل، وكرر لفظة (قفا) كما جاءت في البيت الغائب، وهذا تناص حوار مع قول امرئ القيس[١]:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللوى بين الدخول فحوملِ

قال الحبوبيّ [٢]:

والثريا مثل كفٍ بضةٍ للدجى أومت فلباها الغسق

أو كعنقودٍ بدا من فضة قد جلاه الأفق فالأفق طبق

وقال أيضاً[٣]:

بدا والثريا بأفق السما كعنقود فاكهة في طبق

يشبه الحبوبي الثريا وهي نجوم قريب بعضها من بعض، بالكف البيضاء تارة، وعنقود فاكهة أو عنقود فضة تارة أخرى، ويشبه لأفق بـ(الطبق)، وقد استمد الحبوبي هذه التشبيهات من بيت أبي القيس صفي بن الأسلت، لأنه شبه الثريا بعنقود عنب أبيض طويل الحبة، فالتناص الذي حصل هو تناص امتصاص، مع قول أبي القيس صفي بن الأسلت [٤]:

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقودِ مُلاحيةٍ حين نورا

قال الحبوبيّ [٥]:

طاف بالصغرى وبالكبرى معاً معجب الصنعة في تأليفه

ذهب الحبوبي إلى أن الكأس الصغيرة والكبيرة جميلة الصنعة متقنة التشكيل، وهذا المعنى أخذه الحبوبي من بيت أبي نواس الذي يشبه الفقاقيع الصغيرة والكبيرة التي تعلو

---

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ٨ ، ١١.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٥٩.

(٣) المصدر نفسه : ٣٠٥.

(٤) ديوان أبي قيس صفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي، جمع وتحقيق: حسن محمد باجودة، دار التراث، القاهرة - مصر، ط ١، ١٣٩١هـ - ١٩٧٣ م: ٧٣.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٦١.

الكأس، بالحجارة المصنوعة من الدرّ منثورة على أرض من ذهب، أما من حيث الشكل فقد كرر الحبوبي بعض الألفاظ، مثل (صغرى وكبرى)، وهذا تناص امتصاص مع بيت أبي نواس [١]:

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درّ على أرضٍ من الذهبِ

قال الحبوبيّ[٢]:

وحميا الكأس لما صُفّقت أخذت تجلي عروساً بيديه

ذهب الحبوبي إلى أن شارب الخمرة الممزوجة بالماء إذا انتشى صار يرى أشياء لا يمكن أن يراها إذا كان صاحياً، وقد أخذ الحبوبي هذا المعنى من قول الوليد بن يزيد، فضلاً عن ذلك كرر الحبوبي عبارة (حميا الكأس)، الواردة في بيت الغائب، وهذا تناص امتصاص من قول الوليد بن يزيد [٣]:

وحميا الكأس دبّت بين رجلي ولساني

قال الحبوبيّ[٤]:

وبمن يجررن ريط الأزرِ يختلسن الخطوَ تيهاً لا حذار

الحبيبة عند الحبوبي تجر ازارها تكبراً، وهي تتبختر في مشيتها، وهذا المعنى أخذ الحبوبي من بيت امرئ القيس، غير أن حبيبة امرئ القيس تجر ازارها لتعفي آثارها وهذا تناص حوار مع قول امرئ القيس[٥]:

خرجت بها تمشي تجرّ وراءنا على اثرينا ذيل مرطٍ مُرحَّلِ

---

(١) ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق: محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية، القاهرة – مصر، ط ١ ، ١٨٩٨ م: ٢٤٣.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٩٠.

(٣) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ٩ /١٣١ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٦٤.

(٥) ديوان امرئ القيس: ١٤ .

قال الحبوبيّ[١]:

أوَ للغيـــــدِ أرى نهجـــــاً ســـــوى　　والصـــــبا قـــــد عُريـــــت أفراســـــه

لو تأملنا الشطر الثاني من بيت الحبوبي لأدركنا أنه أخذه من بيت زهير ابن أبي سُلمى إذ كرر الحبوبي المفردات ذاتها لكنه قدم لفظة (الصبا)، وقام بحذف لفظة (رواحله)، وهذا تناص اجترار لأن التناص حصل في اللفظ وفي المعنى مع قول زهير ابن أبي سُلمى[٢]:

صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطله　　وعُـــري أفـــراس الصـــبا ورواحلـــه

قال الحبوبيّ[٣]:

وتُـــــرى ينـــــتظم الشـــــمل لنـــــا　　بعـــد مـــا ولـــى كعنقـــا مُغـــربِ

نرى أن بيت الحبوبي قد تشكل من بيتين غائبين قي جسد النص ساهما في تشكيل بنيته الدلالية ، إذ بنى شطره الأول من بيت حسام الدين الحاجري، فقام باستبدال لفظة (ينتظم) بـ(يجتمع)، أما شطره الثاني فقد بناه من الشطر الثاني لبيت المتنبي فالفكرة ذاتها في الشطرين، وهذه الفكرة هي استحالة لقاء الأحبة، لأن عنقا مغرب، طائِرٌ وهميّ لا وجود له إلا في تصور الإنسان وخياله، ويُضرَب به المثل في طلب المُحال الذي لا يُنال، وهذا تناص امتصاص مع بيت حسام الدين الحاجري الذي قال[٤]

وتـــــرى يجتمـــــع الشـــــمل　　وأحظـــــــــى بالأمـــــــــاني

ومع قول المتنبي[٥]:

أحـــنّ إلـــى أهلـــي وأهـــوى لقـــاءهم　　وأيـــن مـــن المشـــتاق عنقـــا مغـــرب

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٦٥.

(٢) ديوان زهير بن أبي سُلمى: ٨٨.

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٧٦.

(٤) حسام الدين الحاجري الإربلي، حياته وشعره ، ناظم رشيد، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٠ لسنة ١٩٨٥ : ٢٧٣ .

(٥) شرح ديوان المتنبي: ١٨٤.

قال الحبوبيّ[١]:

فأنـــا مـــن فـــوق أعـــلام الربـــى علـــــم الخنســـــاء للمغـــــتلسِ

وقال أيضاً [٢]:

علـــــمٌ يُـــــؤتم فيـــــه للرشـــــاد إن دجـــا للجهـــلِ ليـــلٌ مســـدفُ

يحاور الحبوبي في بيتيه بيتاً للخنساء في رثاء أخيها (صخر)، وفي بيتيه ثمة إشارة واضحة لهذا البيت وهذه الاشارات هي (علم) و(أعلام) فضلاً عن ذكرة اسم الشاعرة (الخنساء)، هذا في مجال اللفظ، أما في مجال المعنى فقد حاول أن يذيب بيت الخنساء لكنه لم يوفق في اخفاء المعنى، فالتناص هنا تناص امتصاص مع قول الخنساء[٣]:

وأن صـــــخراً لتـــــأتمُ الهـــــداة بـــــه كأنّـــــه علـــــمٌ فـــــي رأســـــه نـــــارُ

قال الحبوبيّ[٤]:

لا تســـلني عـــن نحـــولي، فجفـــا ناحـــل الأجفـــان قـــد أنحلنـــي

إن النظر بامعان إلى هذا البيت يجعلنا ندرك ان الحبوبي قد أعاد انتاج بيت المتنبي وغير في أُسسه، وإن كان قد كرر مفردة (نحول) الواردة في بيت المتنبي، وهذا تناص امتصاص مع قول المتنبي[٥]:

كفـــى بجســـمي نحـــولاً انـــني رجـــلٌ لـــولا مخـــاطبتي إيّـــاك لـــم ترنـــي

قال الحبوبيّ[٦]:

وإنـــي قـــد قرضـــت الشـــعر حبـــاً لـــــذكرك لا أن أُدعـــــى أديبـــــا

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٨٢.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢١٣.

(٣) ديوان الخنساء، تحقيق: أنور أبو سويلم: ٣٨٦.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٩٢.

(٥) شرح ديوان المتنبي: ١٤٨٩.

(٦) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٩٤.

يعيد الحبوبي صياغة بيت أبي الشيص، فهو قد أنشد الشعر حباً للحبيبة _لأنه سيتغنى باسمها في أشعارة _ لا ليسمى أديبا، وهذا المعنى أخذه من بيت أبي الشيص الذي يجد لوم الناس له جميلاً ولذيذاً لأنهم سيذكرون المحبوبة في هذا اللوم، وهذا تناص حوار مع قول أبي الشيص[١]:

أجـــدُ الملامـــة فـــي هـــواك لذيـــذةً حبـــــاً لـــــذكرك فليلمنـــــي اللـــــوم

قال الحبوبيّ[٢]:

لـــيس فـــي الـــدنيا صـــفيٌ أو وفـــي أنـــا قـــد جربـــت جيلـــي وبلـــوت

يقدم الحبوبي في هذا البيت خلاصة تجربته في الحياة، فالدنيا ليس فيها صديق مخلص تستطيع أن تعتمد عليه، وهذا المعنى قد ورد في بيت للإمام الشافي الذي ذهب إلى أن الذي يهواه قلبك قد لايهواك، وأن الذي صافيته في المحبة قد لا يصفو في وداده لك، فالتناص هنا تناص حوار مع قول الإمام الشافعي[٣]:

فمـــا كـــلّ مـــن تهـــواه يهـــواك قلبـــه ولا كـــلّ مـــن صـــافيته لـــكَ قـــد صـــفا

قال الحبوبيّ[٤]:

لا تؤمّـــــل مـــــن لئـــــيمٍ كرمـــــا لـــــيس للطرفـــــا دخـــــانٌ طيـــــبُ

قام الحبوبي في هذا البيت بقلب بيت المتنبي، إذ ذهب إلى أن الوضيع لا يتأمل منه كرماً، وهو مثل الطرفا إذا اشتعلت لا تجد لها دخان طيب، وقد كرر الحبوبي بعض ألفاظ بيت المتنبي مثل (لئيم)، (كرم)، وهذا تناص حوار مع قول المتنبي[٥]:

---

(١) ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعة : عبد الله الجبوري، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط ١ ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م: ١٠٢.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٩٥.

(٣) ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط ٣ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م: ٨١ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٠١.

(٥) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار هنداوي للطباعة، القاهرة – مصر، ط ٢ ، ٢٠١٢ م: ٣٨٣.

إذا أنـــت أكرمـــت الكـــريم ملكتـــه وإن أنـــت أكرمـــت اللئـــيم تمـــردا

قال الحبوبيّ[١]:

ألبســـت خـــديك منهـــا شـــعلا تســـلبُ الليـــل رداء الســـدفِ

يرى الحبوبي أن الخمر قد أضاءت وجه المحبوب، وكأن ضياءً ينبعث من خديه، وهذا الضياء قد جلا الليل فجعله نهارًا، وهذا المعنى الجميل قد أخذه من الفرزدق الذي ذهب إلى أن الشيب إذا ظهر في رأس الإنسان فهو كالنهار الذي يطرد الليل، وقد شبه الفرزدق الشيب بالنهار، وسواد الشعر بالليل، وهذا تناص حوار مع قول الفرزدق [٢]:

والشـيبُ يـنهض فـي السـوادِ كأنّـه ليـــلٌ يصـــيح بجانبيـــه نهـــارُ

قال الحبوبيّ[٣]:

أهـــي بالكـــأس أم الكـــأس بهـــا إذ بـــدت صـــرفاً فأخفاهـــا المـــزاج

فهمـــا شـــيءٌ بـــه مشـــتبها أم هماشـــيئان: خمـــزٌ وزجـــاج

يحاول الحبوبي في هذين البيتين أن يستثمر الفلسفة التي استفاد منها الشعراء السابقون في نظم أشعارهم، فهو يتساءل أكانت الخمرة في الكأس أم الكأس في الخمر؟ فقد اشتبها ببعضهما حتى صعب التمييز بينهما، وهذا المعنى قد أخذه من بيت البحتري الذي ذهب إلى أن لون الخمرة قد أخفى الزجاجة وكأنك تنظر ألى الخمر قائمة بغير إناء وهذا تناص حوار مع قول البحتري [٤]:

يخفـــي الزجاجـــة لونهـــا فكأنّهـــا فـــي الكـــف قائمـــةٌ بغيـــر إنـــاء

قال الحبوبيّ[٥]:

لا يـــرى(لا) لجـــوابٍ تصـــلحُ و(نعـــم) تـــأتي، فتأتينـــا الـــنَّعم

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٠٣.

(٢) ديوان الفرزدق، شرحه علي حسن فاعور: ٣٢٣.

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٠٦.

(٤) ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي : ١ /٧ .

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢١٤.

يرى الحبوبي أن الممدوح لم يقل: (لا) لأحدٍ، وأن (لا) لا تصلح جواباً منه، بل جوابه دائماً (نعم)، فإذا قال: نعم، أتى الخير الكثير من الممدوح، وهذا المعنى أخذه الحبوبي من بيت للفرزدق في مدح (زين العابدين بن علي بن الحسين)، الذي ذهب إلى أن الممدوح ما قال (لا) أبداً إلا عندما ينطق الشهادة، ولولا الشهادة لكانت هذه الـ(لا) (نعم)، وهذا تناص حوار لأن الحبوبي غير في أسس البيت الفرزدق الآتي [١]:

مـا قـال (لا) قـطُّ إلا فـي تشـهده لـولا التشـهد كانـت لاءه نعـمُ

قال الحبوبيّ[٢]:

أشـهد الرنـدُ عليـه السوسـنا فوشـت فيـه أكـف الشـمألِ

عند مقارنة الشطر الثاني من بيت الحبوبي، مع بيت لبيد بن ربيعة ندرك أن الحبوبي قد غير في البيت فبدل أن يكون زمام الامور وتصريفها بيد الشمال، اصبحت يد الشمال تنقش وشياً في الزهور، وهذا تناص حوار مع قول لبيد بن ربيعة[٣]:

وغـداة ريـحٍ قـد وزعـت وقَـرةٍ إذ أصـبحت بيـد الشـمالِ زمامهـا

قال الحبوبيّ[٤]:

قلـت هـل تتكـرن صـباً مولعـا بـذوات الأعـين المرضـى الصـحاح

عند التأمل في بيت الحبوبي ندرك أن الشطر الثاني منه قد أخذه من بيت ابن ميادة، فقد كرر الحبوبي ألفاظ هذا الشطر دون تغيير، وهذا تناص اجترار في اللفظ وفي المعنى مع قول ابن ميادة المريّ[٥]:

فنظـرن مـن خلـل السّـتور بـأعينٍ مرضـى مخالطهـا السـقامُ صـحاحِ

---

(١) ديوان الفرزدق: ٥١٢.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٣٠.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٦.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٣٩.

(٥) شعر ابن ميّادة ، جمع وتحقيق: حنا جميل حداد، راجعه وأشرف عليه : قدري الحكيم ، مجمع اللغة العربية، دمشق – سوريا، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م: ١٠٠ .

قال الحبوبيّ[١]:

وغـــدا منتفضـــاً لمـــا صـــحا كانتفـــاض الطـــائر المـــرتعشِ

لو تأملنا هذا البيت لأدركنا أنه يحمل المعنى ذاته لبيت أبي صخر الهذلي، ولكن بالفاظ مختلفة، فالسكران إذا صحا من نشوته ينتفض مثل الطير الذي أصابه البرد، فالتناص حصل في المعنى، وهذا تناص حوار مع قول أبي صخر الهذليّ [٢]:

وإنـــي لتعرونـــي لـــذكراك رعشـــةٌ كمـا انـتفض العصـفور بلـه القطـرُ

قال الحبوبيّ[٣]:

وبالأناجيـــل إذ تتلـــى مرتلـــة وبـــالنواقيس ، أو ضـــرب النـــواقيس

التناص الذي حصل في بيت الحبوبي هو في الشطر الثاني، إذ كرر الحبوبي الشطر الثاني لبيت الشعر الآتي دون أي تغيير، سواء في اللفظ أم في المعنى، وهذا تناص اجترار مع قول الشاعر [٤]:

وقلـت للـنفس: أيّ الضـرب يؤلمـك ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

قال الحبوبيّ[٥]:

فوشـــحت بـــذا الســـوار خصـــرها وســـورت بـــذا الوشـــاح المعصـــما

عند التامل في بيت الحبوبي نجد أنه وصف الحبيبة بأنها دقيقة الخصر، فالسوار وهو حلية ترتديه المرأة في معصمها صار لها وشاحاً، وصار الوشاح لها سواراً، فالحبوبي

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٥٣.

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠هـ –١٠٩٣م)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط ٤ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م :٣/ ٢٥٤ .

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨٥ .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف ، بهاء الدين ، أبو الفتح محمد بن منصور الإبشيهي (٨٥٤ هـ) ، تحقيق ، إبراهيم صالح ، دار صادر، بيروت – لبنان ، ط ١، ١٩٩٩ م: ٣ / ١٣٩.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨٦.

يحاور أبا تمام الذي جعل الخلخال وشاحاً للمرأة الدقيقة الخصر، وهذا تناص حوار مع قول أبي تمام [١]:

مـن الهيـف لـو أن الخلاخـل صـيّرت لهـا وشـحاً جالـت عليهـا الخلاخـلُ

قال الحبوبيّ[٢]:

لا تلـبس الوشـي إلا كـي يـزان بهـا كمـا يـزان سـواد الكحـل بالمـاقِ

إن الحبوبي أراد أن يقول: إن الديباج يتزين بهذه الجميلة، كما تتزين العيون بالكحل، وهذا المعنى أخذه الحبوبي من قول المتنبي: الذي ذهب إلى أن الجميلات لا حاجة لهن بلبس الديباج، ولكن لصون جمالهن، وهذا تناص حوار مع قول المتنبي[٣]:

لبسـن الوشـي لا مـتجملاتٍ ولكـن كـي يصـنّ بـه الجمـالا

قال الحبوبيّ[٤]:

شـمُّ الأنـوف شـأى الجـوزا محلهـم سـروا إلـى المجـد فـي نـصٍ وأعنـاقِ

مدح الحبوبي أحد اصدقائه في هذا البيت، ووصفه بأن كريم، عالي المقام، وأن مقامه قد وصل إلى الجوزاء، والجوزاء برج سماوي، وهو يحث الخطى نحو هذا المجد فوق ناقة سريعة، وهذا المعنى نجده في بيت حسان بن ثابت الذي مدح الغساسنة، ووصفهم بقاء النفس، ووجوههم بيضاء، وهم من أصلٍ كريم، ومقامهم عالي الجنبات، وأن شجاعتهم قد أوصلتهم لهذه المنزلة الرفيعة، والحبوبي غير في الفاظ البيت فلم يذكر من البيت الغائب سوى (شم الأنوف) وهذا تناص حوار مع قول حسان بن ثابت [٥]:

بـيض الوجـوهِ كريمـةٌ أحسـابهم شـمُّ الأنـوف مـن الطـراز الأوّلِ

---

(١) شرح ديوان أبي تمام : ٢ / ٥٥ .

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٧٣.

(٣) شرح ديوان المتنبي: ٩٣٨.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٧٣.

(٥) ديوان حسان بن ثابت، شرح،عبد أ. مهنا: ١٨٤.

قال الحبوبي [١]:

حتـــى كـــأني منـــك فـــي وحـــدةٍ لـــــو صـــــحّ أن يتحـــــدَ اثنـــــانِ

لو صح أن يتحد المحبوب مع من يحب لأصبحنا جسداً واحداً، وهذا المعنى مأخوذ من بيت للحلاج الذي ذهب إلى اتحاده مع المحبوب حتى أصبحا روحان في جسد واحد، وهذا تناص حوار مع قول الحسين بن منصور الحلاج [٢]:

أنـــا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى أنـــا نحـــــن روحـــــانِ حللنـــــا بـــــدنا

قال الحبوبيّ[٣]:

أنا يا سلم _ وإن كنت الأخير_

قـــد ركبـــت اليـــوم مـــا لـــن يركبـــا: مُصـــعب الهجـــر، بشـــوقٍ أهـــيسِ

يخاطب الحبوبي (سلمى)، ويقول لها: إني وإن كنت الأخير، سأحقق شيئاً لن يحققه أحد بعدي، وهذا المعنى قد أخذه من أبي العلاء الذي قال: إني وإن كنت الأخير زمانه، لآت بشيء لم يحققه المتقدمون، فالشطر الأول من بيت الحبوبي هو اجترار للشطر الأول من بيت أبي العلاء، وأما شطره الثاني فتناص حوار مع الشطر الثاني لبيت أبي العلاء، لأن الحبوبي غير في ألفاظه ومعانيه، فالتناص مع قول أبي العلاء المعريّ[٤]:

وإنـــي وإن كنـــت الأخيـــر زمانـــه لآت بمـــا لـــم تســـتطعه الأوائـــلُ

قال الحبوبيّ[٥]:

فـــي وجهـــه رســـمت آيـــات مصـــحفه تُتلـــى ولـــم يخـــشَ قـــاريهن تأثيمـــا

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٧٦.

(٢) ديوان الحلاج، صنعه وأصلحه: أبو طريف كامل بن مصطفى الشيبي: ٢٤ .

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٨٣.

(٤) ديوان أبي أبي العلاء المعري، المشهور بسقط الزند، المطبعة الأدبية، بيروت – لبنان، د . ط ، ١٨٨٤ م: ٣٣.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٨٤.

لقد رُسِمت في وجهك أيات الجمال، وهذه الآيات لا يخشى من قراءتها إثم، أي أن الناظر إلى هذا الجمال لايخشى الإثم، وهذا المعنى الجميل أخذه من بيت لجعفر الحلي الذي ذهب إلى أن قراءة صحائف الجمال في وجنتي الحبيبة، وهي في ذروة الشباب لا تعرف شيئاً عن الانجيل، وهذا تناص امتصاص مع قول جعفر الحليّ[١]:

أتلو صحائف وجنتيك وانت في سكر الصبا لم تدرِ بالإنجيلِ

قال الحبوبيّ[٢]:

والضدّ قد يبدو بمظهر ضده أو ما ترى نور العيون سوادا

الأشياء تتبين قيمتها بأضدادها، فلولا الشر لم نعرف قيمة الخير، هذا المعنى أخذه الحبوبي من بيت المتنبي، الذي ذهب إلى أن ذم الاعداء له قد بين لنا فضله، فالأشياء تظهر بأضدادها، فالمعنى ذاته في بيت الحبوبي والبيت الغائب، فالتناص هنا، تناص امتصاص، مع قول المتنبي [٣]:

ونذيمهم وبهم عَرَفنا فضله وبضدها تتبين الأشياءُ

قال الحبوبيّ[٤]:

إذا وصلت فقد وعدتك هجراً وإن هجرت فما وعدتك اصلا

وصال المحبوبة للمحب هجر، ووعدها هو هجر المحب، وهذا المعنى مأخوذ من بيت للمتنبي الذي ذهب إلى إن غدر الحبيبة بمن تعاهده وفاء بالعهد، لأن من عهدها ألا تبقى على عهد، وهذا تناص حوار لأن الحبوبي غير في أسس البيت الغائب وهو قول المتنبيّ [٥]:

إذا غدرت حسناء وفّت بعهدها فمن عهدها ألا يدوم لها عهدُ

---

(١) ديوان السيد جعفر الحليّ، سحر بابل وسجع البلابل، علي صراط الحق: ٣٥٥ .

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣١٤.

(٣) شرح ديوان المتنبي : ١١٩ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٢٩.

(٥) العرف الطيب: ٢١٤ .

قال الحبوبيّ[١]:

فتبينت حالي، وهل يخفى الجوى؟ الداء يظهر للطبيب مبيَّنا

من يتبين حالي يعرف ما أعانيه من الهوى، فالداء يعرفه الطبيب عند المعاينة، ولو تأملنا عبارة (وهل يخفى الجوى)، لأدركنا أن هذه العبارة قد جاءت في بيت لعمر بن أبي ربيعة، مع تغيير بسيط، إذ حذف الحبوبي مفردة (القمر)، وجاء بكلمة (الجوى)، وهذ تناص أمتصاص مع قول عمر بن أبي ربيعة[٢]:

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

قال الحبوبيّ[٣]:

إلى مثلها يرنو الحليم صبابةً إذا ما انثنت كالغصن وهو رشيق

الشطر الأول من بيت الحبوبي هو تكرار للشطر الأول من بيت امرئ القيس، إذ كرر الحبوبي هذا الشطر دون تغيير في اللفظ أو المعنى، وهذا تناص اجترار مع قول امرئ القيس[٤]:

إلى مثلها يرنو الحليم صبابةً إذا ما اسبكرّت بين درعٍ ومجولِ

قال الحبوبيّ[٥]:

ليهنك أن القلب عندك موثق على ان دمعي في هواك طليق

يحاور الحبوبي في الشطر الأول من بيته بيتاً للشريف الرضي، فالحبوبي يقول: هنيئاً لك القلب الموثق بوثاق الحب، هذا المعنى، أخذه الحبوبي من الشريف الرضي الذي شبه حبيبته بظبية البان، التي ترعى في قلبه، وتتغذى على حبه الجياش، والحبوبي قد غير

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨١.
(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: بشير يموت: ١٢٤.
(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨٢.
(٤) ديوان امرئ القيس: ١٨.
(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨٣.

في أسس البيت الغائب، وهذا التغيير شمل اللفظ والمعنى، لكنه كرر بعض الفاظ البيت السابق مثل: (ليهنك) و(القلب)، وهذا تناص حوار مع قول الشريف الرضي [١]:

يـا ظبيـة البـان ترعـى فـي خمائلـه ليهنـك اليـوم أن القلـب مرعـاك

قال الحبوبيّ[٢]:

كـلّ يـومٍ لنـا فـؤادُ مـذاب ودمـوعُ علـى الطلـول تـراق

حاور الحبوبي في الشطر الثاني من بيته بيتاً للحاجري، وقد كرر الحبوبي بعض الفاظ البيت السابق مثل(دموع) و(على)، أما في مجال المعنى فالمعنى مختلف في شطري البيتين الغائب والبيت المتناص لكنّ دموع الحاجري تسيح على الخدود، ودموع الحبوبي على الأطلال تراق، وهذا تناص حوار مع قول حسام الدين الحاجري [٣]:

جسـدٌ ناحـل وقلـبٌ جـريح ودمـوعٌ علـى الخـدود تسـيح

قال الحبوبيّ[٤]:

لعمـري أنـي صـادق الـود والهـوى ومـا كـلّ مـن يبـدي الـودادَ صـدوق

عند التأمل ندرك أن الحبوبي بنى فكرة بيته على بيت للإمام الشافعي، فالحبوبي يصف نفسه بأنه صادق الودّ والهوى، ولكن ليس كلّ من يظهر الوداد صادق في قوله، وهذا المعنى نفسه في بيت الإمام الشافعي فالتناص هنا أمتصاص مع قول الأمام الشافعي[٥]:

ومـا كـلّ مـن تهـواه يهـواك قلبـه ولا كـلّ مـن صـافيته لـك قـد صـفا

قال الحبوبيّ[٦]:

---

(١) ديوان الشريف الرّضيّ : ١٠٧ .

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨٣.

(٣) التذكرة الفخرية، الصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي (٦٩٢هـ) ، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، دار البشائر، دمشق – سوريا ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٨٣.

(٥) ديوان الإمام الشافعي: ٨١ .

(٦) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٤٧٩.

صـــبراً بنـــي العليـــاء يحمـــد فـــيكم إذا كـــان غيـــر الصـــبر غيـــر حميـــدِ

الصبر صفة يحمد عليها الإنسان، وخاصة الكرام، وغير هذه الصفة تكون ذميمة، وهذا المعنى أخذه الحبوبي من مضمون بيت المتنبي، فضلاً عن ذلك كرر الحبوبي الفاظ المتنبي مثل (صبراً) و(بني)، وهذا تناص امتصاص من قول المتنبي[١]:

صـــبراً بنـــي إســـحاق عنـــه تكرمـــاً إن العظـــيم علـــى العظـــيمِ صـــبورُ

قال الحبوبيّ[٢]:

يـا دهر كـن طوعـه مـا دمـت فهـو فتـى كصـخرة الـوادي لـم تعبـأ بمـن نطحـا

يصف الحبوبي ممدوحه بصخرة الوادي التي يضرب بها المثل في الثبات، لأن السيول تجرف ما حولها، وتبقى هي ثابتةً لا تتحرك، وهذا المعنى ورد في بيت المتنبي، وهذا تناص اجترار مع قول المتنبي[٣]:

أنـا صـخرة الـوادي إذا مـا زُوحمـت وإذا نطقـــت فـــأنني الجـــوزاءُ

قال الحبوبيّ[٤]:

ومـــا رأيتـــك إلا قلـــت مبتهجـــاً لـــولا محاســـن هـــذا لـــم أرد نظـــري

عندما يرى الحبوبي الحبيبة يبتهج، ويشعر بالسعادة، لأنه يستمتع بالنظر إلى جمالها وهذه هي فائدة النظر، وهذا المعنى قد جاء في بيت لأبي تمام، ولكن بألفاظ مختلفة، وهذا تناص حوار مع قول أبي تمام[٥]:

لـــولا العيـــون وتفـــاح الخـــدود إذاً مـا كـان يحسـد أعمـى مـن لـه بصـرُ

قال الحبوبيّ[٦]:

---

(١) شرح ديوان المتنبي: ٥٨٦.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٥٢١.

(٣) شرح ديوان المتنبي: ١١٩.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٨٩.

(٥) شرح ديوان أبي تمام: ١ /٣٢٩ .

(٦) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٧٤.

ولســـت أدري، وربمـــا كنـــت أدري　　أي ظبـــي عشـــقت مـــن آل فهـــرِ

ذهب الحبوبي إلى أنه لا يدري، و(ربّما) كان يدري أنه عاشق لجميلة من آل فهر، والحبوبي في الشطر الأول من البيت يكرر ألفاظ زهير مثل (أدري)، وجاء بـ(ربّما) وهي للتقليل، وجعلها بدلاً للفعل (أخال)، وهو فعل شك وتقليل، وهذا تناص امتصاص مع قول زهير بن أبي سلمى[١]:

ومـــا ادري وســـوف أخـــال أدري　　أقـــومٌ آل حصـــن أم نســـاءُ

قال الحبوبيّ[٢]:

يـــا منـــزل الحـــي بـــدار الســـلام　　جـــاد مغانيـــك مُلّـــث الغمـــام

يحاور الحبوبي في هذا البيت بيتاً لبشار بن برد، لكن الحبوبي قد غير في ألفاظ البيت الغائب أذ استبدل (منزل) بـ(طلل)، ومفردة (دار) بـ(ذات)، ومفردة (السلام) بـ(الصمد)، وكرر مفردة (الحي) بلا تغيير، وهذا تناص حوار مع قول بشار بن برد[٣]:

يـــا طلـــل الحـــي بـــذات الصـــمدِ　　بـــالله خبّـــر كيـــف كنـــت بعـــدي

قال الحبوبيّ[٤]:

كـــان لـــي فيـــه هنـــا فانقطعـــا　　ببيـــاض الشـــيبِ لا بـــيض الصـــفاح

إن أيام الشباب وما فيها من سعادة قد ذهبت، بظهور الشيب، ولم يكن للسيوف دور في انقطاع السعادة، والحبوبي يلمح في هذا إلى قول أبي تمام، الذي ذهب إلى أن السيوف هي التي تفصل بين الحق والباطل، وليس كتب المنجمين، والحبوبي غيّر في معنى البيت وألفاظه وإن كان قد كرر بعض مفردات البيت الغائب مثل (بيض) و(الصفاح) وهذا تناص حوار مع قول أبي تمام[٥]:

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٧.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٥٣١.

(٣) ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور: ٢ / ٥٦ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٤١.

(٥) شرح ديوان أبي تمام : ١ / ٣٢ .

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متـــونهن جـــلاء الشـــكِ والريـــبِ

قال الحبوبيّ[١]:

واستجمعت واثقات الحسن فاجتمعت لهـــا المـــودة فـــي قلبـــي واعلاقـــي

إن المحبوبة قد جمعت كل المحاسن؛ ولهذا ثبت حبها في قلبي، والحبوبي يحاور قيس بن ذريح الذي ذهب إلى أن الحب قد ثبت في قلبه كما تثبت الأصابع في اليد، وقد غير الحبوبي ألفاظ البيت الغائب، لكنه كرر لفظتي (قلب) و(مودة)، وهذا تناص حوار مع قول قيس بن ذريح [٢]:

لقـد ثبتـت فـي القلـب منـك مـودةً كمـا نشـأت فـي الـراحتين الأصـابعُ

قال الحبوبيّ[٣]:

نـــداه والغيـــث غيـــثٌ عـــمّ ســـيبهما والمنبـت الحمـد غيـر المنبـت الشـجر

إن الممدوح كريم كالغيث، وهذا يستوجب الثناء الجميل عليه، أما الغيث فإنه يعيد الحياة إلى الأرض، وينبت الشجر، فالحبوبي يحاور الفرزدق الذي ذهب إلى أن يدي الممدوح كالغيث، وهما مستمران بالعطاء، ولا يخشيان الفقر، وعند النظر إلى معنى البيتين نجد أنهما متقاربان في المعنى، وقام غير في ألفاظ البيت الغائب، وهذ تناص امتصاص مع قول الفرزدق[٤]:

كلتـــا يديـــه غيـــاث عـــمّ نفعهمـــا يســـــتوكفان ولا يعروهمـــــا عـــــدمُ

قال الحبوبيّ[٥]:

المطعـم الجـزر ابـن المطعـم الجـزر م ابن المطعم الجزر ابن المطعم الجزر

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٧٣.

(٢) ديوان قيس لبنى، جمع وتحقيق: أميل بديع يعقوب: ١٠٦ .

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٩١.

(٤) ديوان الفرزدق: ٥١٢.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٩٠ .

الممدوح كريم، من سلالة كريمة، أما ممدوح المتنبي فهو كريم، كالغيث في كرمه، فالمعنى ذاته في البيتين لكن الألفاظ مختلفة، وهذا تناص امتصاص مع قول المتنبيّ [١]:

العارض الهتن ابن العارض الهتن م ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

قال الحبوبيّ[٢]:

فمن للقوافي الغرّ بعدك حيدر يساجلُ فيها دائناً ومدانا

بيت الحبوبي في رثاء صديق له، وهو يقول له: من للأشعار بعدك، وقد كنت تنافس وتباري وتفاخر، في هذه الأشعار، وهذا المعنى أخذه الحبوبي من بيت كعب بن زهير الذي جعل (الحطيئة) في منزلة بعده في الشعر، فالمعنى قريب في البيتين، مع اختلاف في الألفاظ، رغم تكرار جملة: (فمن للقوافي) في البيتين، وهذا تناص حوار مع قول كعب بن زهير [٣]:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفوز جرولُ

قال الحبوبيّ[٤]:

تأمل تجد بدراً تحت تربه وبحراً طغى لجيه فوق أعوادِ

وصف الحبوبي الميت بإنه كان صاحب منزلة رفيعة، وأنه جواد كريم، وهذا المعنى قريب من معنى بيت أبي تمام، وهو تناص امتصاص مع قول أبي تمام [٥]:

وكيف احتمالي للسحاب صنيعةً بإسقائها قبراً وفي لحده البحرُ

التناص القرآني:

شغل القرآن الكريم فكر الشعراء وخيالهم ، وشكلت آياته في شكلها ومضمونها مصدر إلهام لهم، فطفق الشعراء يقتبسون من آياته للسمو بأساليبهم، ورفعة فنون قولهم،

---

(١) شرح ديوان المتنبي: ١٤٩٣.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي: ٢٠١ . (طبعة الجواهري)

(٣) ديوان كعب بن زهير: ٧٣ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي: ٢١٢ . (طبعة الجواهري)

(٥) ديوان أبي تمام : ٢ / ٢٢٠ .

لأنه في أعلى مراتب البلاغة [١]، والمقصود بالاقتباس" هو أن يُضمّن الكلام _ نثراً كان او نظماً _ شيئاً من القرآن أو الحديث" [٢].

للاقتباس دور مهم في النص؛ لأنه يسهم في توسيع الدوائر الدلالية له، ومن ثم يحقق ائراءً فكرياً للقارئ ويفتح له الأبواب على نصوصٍ متعددةٍ جاءت في سياق نص واحد، ويُنظر إلى الاقتباس على أنه شكل من أشكال تداخل النصوص (التناص) [٣] .

إن كل آية كريمة مقتبسة لها دور محوري في سياق النص الجديد ، لأن الشاعر قد أتى بها عن قصدٍ وتعمد ووعي وعلى المتلقي تقع مسؤولية فك شفرات النص مستحضراً كل ما من شأنه اضاءة جوانبه الغامضة .

قال الحبوبي[٤]:

عاشر الأقران في خفض الجناح

ذاك عن خلق وضيء وصلاح

أراد الحبوبي من الممدوح أن يتواضع مع أقرانه، وأن يلين لهم في معاملته، وقد غيّر الحبوبي خفض الجناح للوالدين إلى خفضه للأصدقاء وهذا تناص حوار مع قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[٥] .

وقال الحبوبيّ [٦] :

لك جنة لو أن موسى زارها ما أمّ من واديه طوراً ايمنا

---

(١) ينظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب ، وكامل حسن البصير، دار ابن الأثير، الموصل – العراق ، ط ٢ ، ٢٠٠٦م : ٤٦١ .

(٢) التعريفات ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، المعروف يالسيد الشريف، إشراف ، أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، د . ط ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م: ٢٥ .

(٣) يُنظر :الخطيئة والتكفير،عبد الله محمد الغذامي: ٥٨ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:١٥٢ .

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٤ .

(٦) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي: ٢٢٧. (طبعة الجواهري) .

استلهم الحبوبي قصة موسى (عليه السلام)، عندما ذهب إلى جانب الطور (الجبل)، الأيمن عند شاطئ الوادي، ليجلب النار لأهله ، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ (١)

قال الحبوبي (٢) :

فأنـــا أشـــكره مـــا اخضـــرّ عـــود إنمـــــا الشـــــكر جـــــزاء الـــــنعم

يحث الحبوبي المتلقي، على دوام الشكر لله على نعمه، وهو يستثمر النص القرآني بدلالات مختلفة عما ورد في النص الغائب، لأن الشكر في الآية معناه الطاعة لله، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٣)

قال الحبوبيّ (٤) :

أشـــرقت فـــي كفـــه مشـــكاة نـــور بالتهـــاب مـــن حبـــاب كـــالنجوم

التناص الذي حصل في بيت الحبوبي في قوله: (مشكاة نور)، وهي في البيت تعني المصباح المضيء، وهذا المعنى يختلف عما ورد في النص الغائب، فمعناه في النص الكريم أن قلب المؤمن في صفائه كالقنديل المضيء، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ (٥) .

قال الحبوبيّ (٦) :

كم خشينا رصداً مذ سعرت

(١) سورة مريم، الآية: ٢٥ .

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:١٦٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية:٧ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٧٤.

(٥) سورة النور ،الآية: ٣٥.

(٦) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٢٣١.

وسترنا شمسها لو سترت

وهي في أفواهنا مذ كوّرت

يستلهم الحبوبي في هذا المقطع نصين كريمين، وقد أعطى الشاعر دلالات جديدة للمفردات التي اقتبسها من القرآن، (فسعرت)، تعني ضوء الشمس أو الصبح، أما (كورت) فقصد بها غياب الشمس، ومدلول (سعّرت) في القرآن الكريم، أوقدها وهيجها، و(كورت) غُوِّرت وذهب ضوءها، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} وقوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} (١) .

قال الحبوبيّ (٢) :

لو رأى ثعبان موسى ما أصيب

غـــدوةً إذ يحشـــر النـــاس ضـــحى إذ هـــو الأرقـــش عـــين الأرقـــشِ

في أبيات الحبوبي إشارة إلى قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، حين ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، وما حصل من جمع الناس في وقت الضحى، وهو الموعد المقرر بين موسى عليه السلام وفرعون، وهذا تناص حوار مع قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ (٤) .

قال الحبوبيّ (٥) :

مراشـــــفهن والمقـــــل الســـــواهي تريـــك الحســـن فـــي حَـــورٍ وحُـــور

استدعى الحبوبي لفظة (حُور)، من القرآن الكريم، وغير في مدلولها، فجاءت لتدل النساء الجميلات في الدنيا، بينما في النص القرآني دلت (الحُور) على نساء الجنة، البيضاوات

(١) سورة التكوير، الآية:١٢، والآية: ١.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٢٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة طه، الآية: ٥٩.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٦٨.

الجميلات التي يحار في جمالهن العقل، وهذا تناص امتصاص مع قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (١) .

قال الحبوبيّ (٢) :

وفـــي وجنـــاتهن ريـــاضُ حســـنٍ وأقمـــارٌ، فمـــن نَـــوْرٍ ونُـــور

إن جملة (نَوْرٍ ونُور) مستوحاة من القرآن الكريم، غير أن الحبوبي قد غيّر في مدلول الكلمتين فصار معناهما في البيت وجوه النساء الجميلات كأنها زهر أبيض وضياء، أما في القرآن فمعناهما إيمان العبد وعمله الصالح ، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٣) .

قال الحبوبيّ (٤) :

ولـــم تكـــن مختـــالاً فخـــورا فـــداؤك كـــلّ مختـــالٍ فخـــور

اقتبس الحبوبي جملة (كل مختالٍ فخور) من القرآن الكريم وكررها بالمعنى ذاته، وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٥) .

قال الحبوبي(٦):

عـــوان اللفـــظ، أبكـــار المعـــاني جمـــوح الـــنظم، شـــاردة الشـــطور

يقتبس الحبوبي مفردتين من القرآن الكريم وهما (عوان وأبكار)، وقد وظف الشاعر المفردتين في دلالات جديدة، فكانت الأولى تدل على قوة اللفظ، والثانية تدل على المعاني التي لم يطرقها أحد قبله، ومن المعلوم أن اللفظتين دلتا في سورة البقرة على

(١) سورة الدّخان، الآية: ٥٤.
(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٦٨.
(٣) سورة النور، الآية:٣٥.
(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٧٠.
(٥) سورة لقمان، الآية:١٨.
(٦) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٧١.

صفة البقرة التي أراد بنو إسرائيل ذبحها ليكتشفوا من القاتل، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ (١)

قال الحبوبي (٢):

زُر مــن به نـــال إبراهيم خــلته من ذي الجلال وموسى نال تكليما

بيت الحبوبي يتضمن أسماء لأنبياء ورد ذكرهم في القرآن الكريم وهما إبراهيم (عليه السلام)، وموسى (عليه السلام) وهذا تناص امتصاص مع قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (٤) .

قال الحبوبي (٥):

كــم جنحنـــا للســـلم منـــك اختيـــاراً وعقـــدنا علـــى الحواجـــب صـــلحا

يستعمل الحبوبي جملة (جنحنا للسلم)، وهذه الجملة أخذها الحبوبي من القرآن الكريم، وقام بتغيير بسيط في بنية الفعل (جنح)، لكن هذا التغيير لم يؤثر على المعنى شيئاً يذكر، وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦).

قال الحبوبي(٧) :

ومــذ جـــاء حـــقّ الحجـــى بالمشـــيب وكـــان الصـــبا (بـــاطلاً قـــد زهـــق)

نستشف من هذا البيت تناصاً قد حصل مع القرآن الكريم، إذ أعاد الحبوبي صوغ النص القرآني بطريقة مختلفة، فـ(الحق) في البيت جاء ليدل على دخول المرء مرحلة اكتمال

(١) سورة البقرة، الآية:٦٨.
(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٢٨٦
(٣) سورة النساء، الآية:١٢٥.
(٤) سورة النساء، الآية:١٦٤.
(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٢٩٨ .
(٦) سورة الأنفال، الآية:٦١.
(٧) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٠٦.

العقل، وهو ظهور الشيب، وأن الصبا، وهو مرحلة اللهو واللعب كانت باطلاً، أي لا ثبات لها، وقد (زهق) انتهى واضمحل، وهذا الدلالات الواردة في البيت تختلف عما ورد في النص الكريم،لأن الحق هو القرآن الكريم، وأما الباطل، فهو الشيطان او الشرك، أو الكذب والبهتان وكل ماهو منافٍ للحق والعدل، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١) .

قال الحبوبي(٢) :

إلـــى كـــاظم الغـــيظ وجهتهـــا ليصـــفو لهـــا الـــورد بعـــد الرنـــق

ومـــن يظهـــر البشـــر عنـــد الشـــحوب ومـــن يكظـــم الغـــيظ عنـــد النـــزق

يستلهم الحبوبي في هذه البنية الشعرية نصاً من القرآن الكريم، ففي قوله:(كاظم الغيظ) و(يكظم الغيظ)، هو كتمانه وعدم إظهاره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، والغيظ أصل الغضب، وهذه الدلالات هي نفسها في بيتي الحبوبي والنص القرآني، وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

قال الحبوبي (٤) :

وإن أبصـــروا المـــال أبصـــرتهم وقـــد ركبـــوا طبقـــاً عـــن طبـــق

يستحضر الحبوبي الآية الكريمة لعبير عن واقع المجتمع وتغيّر حال الناس من حالٍ إلى حال وهم يركضون خلف المال، والشطر الثاني من البيت الشعري يحمل الدلالات ذاتها التي تضمنتها الآية الكريمة (فطبق عن طبق)، تعني منزلاً بعد منزل، أو حالاً بعد حال، أو أمراً بعد أمر، وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ (٥) .

(١) سورة الإسراء، الآية:٨١.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٠٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية:١٣٤.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٠٩.

(٥) سورة الانشقاق، الآية:١٩.

قال الحبوبي [١]:

قــد اختلفــت طبــاع النــاس نوعــاً كمــا اختلفــت بألســنها اللغــات

يقتبس الحبوبي لفظة (اختلفت) من القرآن الكريم، وجاءت هذه المفردة تحمل الدلالات ذاتها التي عبر عنها القرآن الكريم، وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ [٢].

قال الحبوبي [٣]:

وعلــى المجــرة قــد جــرت خببــاً أفراســـــه فأثرنهـــــا نقعـــــا

يأخذ الشاعر جملة (فأثرنها نقعا)، من القرآن الكريم، ولم يجر أي تغيير على النص القرآني، بل كرر العبارة بالألفاظ نفسها، وبالمعاني ذاتها، وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ [٤].

قال الحبوبي[٥] :

بســـطتُ إليـــك يـــد للوصـــال فهـــلا رحمـــت يـــدّ الباســـط

يأخذ الحبوبي لفظة (بسطت)، من القرآن الكريم، ليعبر بها عن التواصل بين الناس، وتقوية العلاقات الاجتماعية بينهم، ومن المعلوم أن هذه المفردة جاءت في سياق الشر الذي أبداه قابيل لأخيه هابيل وكيف قام قابيل بقتل هابيل، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٦].

قال الحبوبي [٧]:

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٢٨.

(٢) سورة الروم، الآية:٢٢.

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٣٦.

(٤) سورة العاديات، الآية:٤.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٧٥.

(٦) سورة المائدة، الآية:٢٨.

(٧) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٩١.

وما هو من ماءٍ وأن سال رقةً ولو كان من ماءٍ لما احترق الخالُ

يستلهم الحبوبي القرآن الكريم ليعبر عن فكره، فهو ينفي أن يكون الإنسان قد خلق من ما، بينما النص القرآني يشير بوضوح إلى أن كل شيء حي هو من ماء وهذا تناص حوار مع قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

قال الحبوبي (٢):

وهـادي رشـاد يقتفـي الحـق إثـره أبـان سـبيلاً عبـق الطيـب نشـره

فقل لامرء (لم يشرح الله صدره)

إن جملة (لم يشرح الله صدره)، في البيت هو نفي لشرح الصدر، بينما النص القرآني يشير بوضوح إلى شرح صدر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الاستفهام تقريري، وهو إثبات للشرح، والغرض منه التذكير التنبيه، وهذا تناص حوار مع قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٣).

قال الحبوبي (٤):

كظبـاء الخيـف لا تخشـى القنـاص

يتسـترن بمسـودّ العقـاص

جـرحتني والجراحـات قصـاص

اقتبس الحبوبي (الجراحات قصاص)، من القرآن الكريم، ولم يغير في مدلول الجملة شيئاً وهذا تناص اجترار مع قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنشراح، الآية:١.

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٥٥١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية:٣٠.

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٢٣٨.

(٥) سورة المائدة، الآية:٤٥.

قال الحبوبي [١]:

نـــارُ موســـى تأججـــت فـــاقتبس مـــن ســـناها إن أمكـــن الاقتبـــاس

في بيت الحبوبي إشارة إلى قصة موسى (عليه السلام)، عندما ذهب لجلب النار لأهله، وهذا تناص امتصاص مع قوله تعالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [٢].

قال الحبوبي [٣]:

فغـدا يعـضّ علـى الأنامـل حسـرةً نـــدماً، ويصـــفقُ بالشـــمالِ يمينـــه

يذكرنا الحبوبي بقصة صاحب الجنة، الذي منحه الله المال والأولاد فافتخر بها وظن أنها لن تهلك أبداً فأتاه أمر الله فهلك كل شيء، فعض أنامله، وصفق بيديه، وهذا كناية عن الحسرة الشديدة ، والندم العظيم وهو تصوير بديع لما اعتراه من غم وهم وحسرة وندامة، وتقليب اليدين عبارة عن ضرب إحداهما على الأخرى ، ففي بيت تناص حوار الحبوبي مع قوله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [٤].

قال الحبوبي [٥]:

ســـلامُ علـــى الـــدنيا فـــإني فقـــدتها لفقـــدانها إذ حيـــث كانـــت متاعهـــا

يحاور الحبوبي في بيته الحديث الشريف، فالحبيبة هي متاع الحياة، وقد انتهت متع الحياة بفقدان تلك الحبيبة، وهذا تناص حوار مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) [٦] .

---

(١) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي:٣٩١.

(٢) سورة طه، الآية:١٠.

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٥٢.

(٤) سورة الكهف، الآية:٤٢.

(٥) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٣٥٦.

(٦) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ٦٧٢/١

التناص الذاتي، (التناص الداخلي):

يشكل التناص الذاتي ملمحاً بارزاً في شعر الحبوبي ، بل أنه يعد من أبرز الظواهر الفنية في شعره، ونقصد بالتناص الذاتي: تناص نصوص الشاعر مع بعضها عن طريق التكرار، أو هو" تناص الشاعر مع نفسه (نصوصه) السابقة" [١].

والتكرار ميزة أسلوبية، تأتي في النص لتوكيد دعائم المعنى وتثبيتها، فضلاً عن ذلك يعطي التكرار النص موسيقى داخلية عذبة تتناسب مع حالة الشاعر النفسية في هدوئه وغضبه أو فرحه وحزنه[٢] ، وإذا ما حاولنا أن نرصد بعض مظاهر التكرار الفنية في شعر الحبوبي، نجد أنه مولع به، " فالتكرار عنده وسيلة من الوسائل التي تعينه على تفريغ ما في داخله ، وقد يلجأ إليها المبدع ليحقق غرضاً ما أو دلالة معينة " [٣]، وإنك لتجد في شعره تكراراً كثيراً فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أنه قد كرر بعض الأماكن بطريقة ملفتة للنظر، فقد كرر مدينة (نجد) [٤] أكثر من غيرها، ثم (الكرخ) [٥] ، ثم (وادي العقيق) [٦] ، ثم (الصفا) [٧] ، وكرر مدينة (النجف الأشرف) [٨] ، كما تعرف الآن، أو باسمها القديم (الغرين) [٩] ، فضلاً عن أماكن أخرى كثيرة ، وما من شك أن ترديد الحبوبي لهذه الأماكن، يدل دلالة قاطعة على تعلقه بها، وحبه لها " ويدل على أن لها رنيناً خاصاً عنده، ولها (من ثمّ) قوة إيجابية خلاقة أشدّ فاعلية من الاستعمال

---

(١) التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم : ٦٤.

(٢) يُنظر: الأسلوبية ، الرؤية والتطبيق ، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة ، عمان – الأردن ، د . ط ، د . ت : ٢٦٤ .

(٣) التكرار في الدراسات النقدية بين الأصالة والمعاصرة، فيصل حسان الحولي (رسالة ماجستير) مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة ، الكرك– الأردن، إشراف : أ.د. إبراهيم البعول ، ٢٠١١ م: ١ .

(٤) يُنظر: ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي : ١٩٤،١٩٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٨٤، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٤، ٣٨٩ .

(٥) يُنظر: المصدر نفسه : ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٤١، ٣٥٨، ٣٨٦، ٣٧٠، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥٠٧ .

(٦) يُنظر: المصدر نفسه :١٤٧، ٢٧٦، ٣٥٤، ٣٨٢، ٣٧٩ .

(٧) يُنظر: المصدر نفسه : ١٩٥، ٢٢٥، ٢٤٤، ٣٣٧ .

(٨) يُنظر: المصدر نفسه : ١٩٥، ٢١١، ٢٢٤ .

(٩) يُنظر: المصدر نفسه : ١٦٨، ٣٩٩، ٤١٠ .

العادي " [١] ، فهي أماكن لها في تاريخ الحضارة دور مهم، فضلاً عن ذلك فهو قد ذكر اسماءً لرجال ونساء ، وهي اسماء تتبع من تلك الأماكن ومن عبق البادية ، وهذه الاسماء نجدها عند الحبوبي وغيره من الشعراء .

وفيما يأتي بعض ملامح التكرار في شعره : قال الحبوبيّ[٢]:

أكسبتنا إذ سقتنا نطفا خفة الطبع وثقل الألسنِ

وقال[٣]:

خَفّفَ طبعي شربها مثلما دبيبها ثقّل أجفاني

كرر الحبوبي جملة (خفة الطبع) في البيتين، هذا على صعيد الجملة، أما على صعيد المفردة فقد كرركلمة(ثقل)، فأضافها إلى (الألسن) مرة، وإلى (الأجفان) مرة أخرى وهذا تناص اجترار.

قال الحبوبيّ [٤]:

قال لي: هيهات من يسمع ذاك أُم أوفى لا تباري مظعني

وقال أيضاً [٥] :

بلوى الرقمتين من أُم اوفى طلل بان أهله فتعفّى

أو تبكيك باللوى عرصات دارسات الطلول من أُم أوفى

كرر الحبوبي (أم أوفى)، ثلاث مرات وهذا تناص اجترار، وقد وردت هذه الكنية في شعر زهير بن أبي سلمى .

قال الحبوبيّ [٦]:

---

(١) علم الأسلوب ، صلاح فضل : ٢٨٤ .

(٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي : ١٩٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٦ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ١٤٩.

(٥) المصدر نفسه: ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٦) المصدر نفسه: ١٥٩.

والثريـــا مثـــل كـــفٍ بضـــةٍ للـــدجى أومـــت فلباهـــا الغســـق

أو كعنقـــودٍ بـــدا مـــن فضـــة قـــد جـــلاه الأفـــق فـــالأفق طبـــق

وقال أيضاً [١]:

بـــدا والثريـــا بـــأفق الســـما كعنقـــود فاكهـــة فـــي طبـــق

كرر الحبوبي بعض الألفاظ مثل (الثريا) و(طبق) و(عنقود) و(أفق)،إذ كررها مرتين، وهذا تناص ذاتي وهو تناص اجترار.

قال الحبوبيّ[٢]:

غننـــي باســـم عشـــيقي غننـــي وعـــن المســـك شـــذاه عـــنعنِ

وقال [٣]:

وعـــن الظلمـــاء لمـــا عنعنـــا صـــدق النـــاس بشـــعرٍ مرســـلِ

كرر الحبوبي لفظتي (عن) و(عنعني) مرتين وهذا تناص ذاتي، وهو تناص اجترار.

قال الحبوبيّ[٤]:

جـال الوشـاح بكشـحيها متـى نهضـت تسـعى إليـك وضـاق الحجـل بالسـاق

وقال [٥]:

جـــال فـــؤادي إن مشـــى مثلهـــا فـــي خصـــره جـــال الوشـــاحانِ

وقال ايضاً [٦]:

فوشـــحت بـــذا الســـوار خصـــرها وســـورت بـــذا الوشـــاح المعصـــما

(١) المصدر نفسه: ٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٢.

(٣) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي : ٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨٦.

(٥) المصدر نفسه: ٢٧٥.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٣.

لـو تأملنـا ابيـات الحبـوبي لوجـدنا أنـه كـرر بعـض الفاظهـا مثل(جـال) و(الوشـاح) و (خصر)، وهذا تناص ذاتي، تناص اجترار على مستوى اللفظ.

قال الحبوبي [١]:

مـــا زرّ إلا علـــى جـــيشٍ مطارفـــه وبشـــره شـــقّ زهـــر الـــروضِ مرهومـــا

وقال [٢]:

جـــاءت تـــزرّ فويـــق المـــاء مئزرهـــا وفـــــوق مئزرهـــــا لألاء مقبـــــاسِ

وقال ايضاً [٣]:

زرّ برديـــــه فـــــوق روض جمـــــال تقطـــفُ العـــين منـــه زهـــراً منـــدى

كرر الشاعر بعض المفردات، مثل (زرّ) و(روض) و(زهر)، وهذا تناص اجترار على مستوى اللفظ.

.

قال الحبوبيّ[٤]:

وانعتتهـــــا، ويـــــك، فـــــي ألقابهـــــا فهـــــي رَوحٌ، وهـــــي رُوحٌ، وهـــــي راح

كرر الحبوبي الشطر الثاني من بيته السابق، وقلب المفردات، وهذا تناص حوار ذاتي فقال [٥]:

فـــاملأن لـــي باســـمه كـــاس الصـــبوح

فهـــــي راح، وهـــــي رَوحٌ، وهـــــي رُوح

قال الحبوبيّ[٦]:

---

(١) المصدر نفسه: ٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠١.

(٣) المصدر نفسه: ٥٢٧ .

(٤) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي: ٢٠٧ .

(٥) المصدر نفسه: ٢٣٣ .

(٦) المصدر نفسه: ١٩٠ .

فاســقني كاســاً وخــذ كأســاً إليــك فلذيـــــذُ العـــــيش أن نشـــــترك

وقال[١] :

فاســقني كاســاً وخــذ كأســاً إليــك فلذيـــــذُ العـــــيش أن نشـــــترك

كرر الحبوبي البيت نفسه دون أي تغيير، وهذا تناص اجترار.

قال الحبوبيّ[٢]:

فهـــي أيّـــامٌ غـــدت أيّـــام عيـــد ناهجـــاً للأنـــس نهجـــاً مهيعـــا

وقال[٣]:

ســـالكاً للمجـــد نهجـــاً مهيعـــا يهتـــدي فيهـــا بـــأنوار الصـــلاح

لو أمعنا النظر في الشطر الثاني من البيت الأول، لأدركنا أنه يحمل المعنى نفسه للشطر الأول من البيت الثاني، ولكن بألفاظ مختلفة، تحمل الدلالات ذاتها، فكلمة (ناهج)، تعني سالك، وهذا تناص اجترار.

قال الحبوبيّ[٤]:

ســـالكا مـــن العليـــاء نهـــج أبيهمـــا إن الشّـــــبول لتقتفـــــي الآســـــادا

أعاد الحبوبي بيته بصيغة اخرى فقال [٥]:

ومـــن يرنـــو بنيـــك يـــراك فـــيهم وشـــبل الليـــث يشـــبهه طباعـــا

لو لاحظنا الشطر الثاني من البيتين لأدركنا أن الحبوبي يتناص مع المثل الشعبي القائل: (هذا الشبل من هذا الأسد)، فالأبناء يقتدون بآبائهم، ولأن االصفات الوراثية يتوارثها الأبناء عن الآباء، وهذا تناص امتصاص مع المثل الشعبي، وهو في الوقت نفسة تناص اجترار ذاتي.

---

(١) المصدر نفسه: ٢٢١ .

(٢) المصدر نفسه: ١٧٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٣١٦ .

(٥) ديوان السيد محمد سعيد حبوبي: ٢٠٧ . (طبعة الجواهري) .

الخاتمة:

- ❖ تعد الاعمال الأدبية السابقة بمثابة الأساس الذي تقوم عليه النصوص اللاحقة؛ فالعملية الابداعية لا تقوم من الفراغ، وإنما تصقل بالقراءة والممارسة والدربة .
- ❖ إن التناص يقوم على اكتشاف البنى المغيبة في ثنايا النص، وهذا يتطلب ناقداً جاداً يحفر في طبقات النص ليكتشف المسكوت عنه .
- ❖ الشاعر المبدع هو الذي يستلهم المنجز الحضاري فنياً وثقافياً ، وإذا ما ظهر شيء من نصوص سابقة في نتاجه الأدبي فهذا يدل على ثقافة تراثية ، وأصول معرفية بني عليها النص، وشعر الحبوبي خير شاهد على ذلك.
- ❖ المخزون الثقافي لدى الحبوبي يستمد مقوماته من ابداعه الذاتي ، فضلاً عما يستمده من سالفيه من الشعراء .
- ❖ التناص لدى الحبوبي يعد صورة فنية واضحة للثقافة التي يمتلكها، فكل نص يعكس المخزون الثقافي لمبدعه، ويعبر عن شخصيته وثقافته والتصاقه بتراث أمته .
- ❖ يعد التناص بعث وأحياء للتراث من جديد ، فكل نص يحيلنا إلى عدد من النصوص لأكمال المعنى الذي أراد الشاعر أن يعبر عنه .

)The Intertext in the poetry of Mr. Mohamed Said al-Haboubi (1849-1915

Asst.Les. Abdul Ghani Hameed Hussein

Abstract

The intertext is a cognitive extension of the texts preceding the creative process. The creative text is an intensifying focus in which a series of texts converge, and the texts of the beloved refer to other texts, other texts. They are thus based on a solid foundation and a historical depth. An authentic Arab heritage, as well as resurrecting heritage